أكتوبر/تشرين الأول 2014

منظمة العفو الدولية

سوريا: أصوات في محنة

نشرة شهرية حول أزمة حقوق الإنسان في سوريا

سكان عين العرب – كوباني النازحون عالقون بالقرب من الحدود التركية. ©Amnesty International

"الأوضاع مزرية، بل هي كارثية"

منظمة العفو الدولية تتحدث مع المدنيين النازحين من عين العرب – كوباني على مقربة من الحدود السورية التركية

منذ يوليو/ تموز 2012، تسيطر وحدات الدفاع الشعبي الكردية، وهي جماعة مسلحة تابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، على مدينة عين العرب – كوباني التي تقطنها أغلبية كردية وتتبع محافظة حلب السورية وتقع على مقربة من الحدود مع تركيا. وتعود أوائل الصدامات المسلحة بين قوات وحدات الدفاع الشعبي والجماعة المسلحة التي تطلق على نفسها اسم "الدولة الإسلامية" إلى يوليو/ تموز من عام 2013 قبل أن تشهد تصعيدا خطيرا في مستوياتها اعتبارا من يوليو/ تموز من العام الجاري. ولقد أدى تقدم قوات الدولة الإسلامية إلى إجبار نحو 200.000 لاجئا مدنيا على الفرار من كوباني.

ومع إغلاق الحدود التركية بشكل جزئي مؤخرا، وجد مئات الآلاف من مدنيي كوباني أنفسهم عالقين في مناطق جرداء على مقربة من الحدود بعد منع البعض منهم من دخول الأراضي التركية. وفي 20 أكتوبر/ تشرين الأول الجاري، التقت منظمة العفو الدولية بشخص من هؤلاء يُدعى شوراش* الذي أخبرها قائلا: "أنا الآن في المنطقة الحرام (الفاصلة بين حدود البلدين). فلقد حاولنا دخول الأراضي التركية ولكن لم يُسمح لي بذلك. ولا أعرف ما السبب حقيقةً. ولقد سألت أحد حرس الحدود الأتراك مجددا ولا زال من غير المسموح لي الدخول إلى الأراضي التركية".

وتابع شوراش قائلا: "لقد مضى على وجودنا هنا 35 يوما. وغادرت قريتي تل غزال الواقعة على أطراف مدينة كوباني بعد أن اشتد قصف الدولة الإسلامية المدفعي عليها. ولقد قمنا بالفرار بحثا عن ملاذ آمن على الحدود. ويُعتقد أن قلة من المسنين قد بقوا في قريتنا كونهم لا يقوون على القيام بالرحلة الشاقة.

ويُقدر عدد الأشخاص المتواجدين عند هذه النقطة الحدودية بين 300 و400 شخصاً. ولقد تمكن معظم أفراد المجموعة التي كان قوامها 700 شخصا في بادئ الأمر من العبور إلى الحدود التركية من هذه المنطقة تحديدا بطرق غير نظامية عبر رشوة حرس الحدود الأتراك.

ويمكن وصف الوضع الإنساني بأنه صعب جدا، فلقد حل الشتاء ولا مكان آخر لنا نؤوي إليه. إذ تحاصرنا قوات الدولة الإسلامية من الجنوب والشرق والغرب، فيما توجد الحدود التركية إلى الشمال.

ولا يوجد معنا خيام ويُضطر الناس إلى النوم في العراء. ولدى البعض سياراتهم التي يمكنهم النوم داخلها. وفي الأيام القليلة الماضية، هطل المطر فتسبب لنا بمعاناة كبيرة. إذ لم يحضر العديد من الذين غادروا كوباني في البداية بطانيات معهم كونهم قد فروا أثناء حر فصل الصيف. واعتقدوا أنهم سوف يتمكنون من العودة إلى منازلهم سريعا، ولكن لا يمكننا أن نعود أدراجنا الآن.

"فلا نحصل على مساندة أو دعم طبي هنا. ولقد جُرح أحد الصبية الليلة الماضية جراء انفجار لغم أرضي فيه؛ وقمنا بالاتصال بسيارة إسعاف التي استغرق وصولها ساعتين قبل أن تنقل الطفل إلى المستشفى داخل الأراضي التركية. ولقد تكرر الأمر مع صبي آخر اضطُر إلى انتظار سيارة الإسعاف ثلاث ساعات".

وثمة آخرون مثل أبي علي* لا يودون دخول الأراضي التركية كونهم سوف يُجبرون على ترك سياراتهم داخل سورية، وهي من بين المقتنيات القليلة التي تبقت لهم. وأخبر أبو علي منظمة العفو الدولية بتاريخ 19 أكتوبر/ تشرين الأول ما يلي:

"لقد مضى على وجودي رفقة زوجتي وأطفالي الثمانية في المنطقة الحرام 35 يوما. والوضع مروع، إذ لا طعام هنا، ونحن جميعا جوعى. ولا أريد أن اصطحب عائلتي إلى تركيا، ولهذا فلم أحاول العبور إلى داخل الأراضي التركية – كونني لا أمتلك نفقة القيام بهذه الخطوة وأعلم المصير الذي سوف يحل بنا هناك.

تصاعد أعمدة الدخان فوق عين العرب -كوباني إثر قصف جوي أمريكي.
©Amnesty International

"فلو توجهت إلى تركيا سوف اضطر لترك سيارتي التي هي كل ما أملك الآن. فنحن أناس فقراء، وإذا دخلنا تركيا، فسوف ينتهي

المطاف بنا في الشارع. وأحضر بعض المتطوعين الأكراد مؤخرا بطانيات إلى هنا ولكن ما نفع بطانية واحدة وسط البرد والمطر؟ ونُضطر إلى النوم غالبا داخل سياراتنا، أعني كل أسرة داخل سيارتها. ونحن بحاجة إلى المزيد من الدعم والمساندة؛ ونحن بحاجة إلى الطعام والرعاية الطبية الأساسية. ولا نريد أن نصبح لاجئين داخل تركيا؛ نريد المزيد من الدعم لشعبنا هنا وداخل كوباني بحيث يمكننا جميعا العودة إلى ديارنا".

كما تحدثت منظمة العفو الدولية مع عامل إغاثة سوري بتاريخ 17 أكتوبر/ تشرين الأول يُعنى بمساعدة الذين تقطعت السبل بهم عند الحدود. وقال لنا:

"نقوم بتوزيع أي مساعدات تصل إلى أيدينا؛ وننقلها إلى الحدود ونسلمها إلى الفريق على الجانب الآخر من الحدود، وهم عبارة عن مجموعة من النازحين. فالأوضاع مزرية، بل هي كارثية بكل معنى الكلمة".

"ولقد تغيرت أحوال الطقس وبدأ هطول الأمطار بينما يقيم هؤلاء الناس في العراء. وقمنا هذا الأسبوع بتوزيع 3000 بطانية ولكنها لم تكن كافية، فهم لا زالوا مكشوفين في العراء وبحاجة إلى برنامج مساعدات إغاثي منتظم يلبي احتياجاتهم الغذائية والصحية، وهذا ليس بالأمر المتاح الآن. وثمة أطفال يُصابون بالزكام والحمى، فيما يُصاب البعض الآخر بالإسهال ولكن ما الذي يمكننا فعله؟

ويحدونا الأمل بأن نحصل على مساعدات مالية بحيث يتسنى لنا توصيل الأدوية لهم. وحتى مع توافر التمويل، فيستغرق الأمر وقتا طويلا من أجل الحصول على الموافقات في كل مرة نريد فيها أن نوزع مساعدات معينة؛ فثمة الكثير من التعقيدات البيروقراطية. والوضع جد بائس ويخاطر الناس بأرواحهم عند محاولة عبور الحدود ليلا؛ وإذا ألقى حرس الحدود القبض عليهم فسوف يتعرضون للإذلال والضرب".

* لقد تم تغيي

سكان عين العرب – كوباني النازحون عالقون بالقرب من الحدود التركية.
©Amnesty International

ضوء على حالة – خليل معتوق

"إن غيابه أمر غير إنساني، فما كان بوسع النظام أن يتحمل رباطة جأشه، ولم يطيقوا رؤية ابتسامته"

© Amnesty International

تعرض المحامي المتخصص في حقوق الإنسان خليل معتوق وصديقه وزميله في العمل محمد ظاظا للاختفاء القسري في 2 أكتوبر/ تشرين الأول 2012 أثناء قيادتهما السيارة في طريقهما إلى مكتبهما الكائن في دمشق. ولم ترد أخبار عنهما منذ ذلك الحين، ولم تفصح السلطات عن أي معلومات تتعلق بمصيريهما أو مكان تواجدهما.

ويُعتقد أن عناصر من قوات الأمن السورية قد أُلقوا القبض عليهما لدى مرورهما بإحدى نقاط التفتيش التابعة للنظام. ويشير النزر اليسير من المعلومات المتوفرة، بما فيها تلك القادمة عن طريق المحتجزين السابقين، إلى احتجاز خليل معتوق في مراكز حجز تديرها جهات حكومية مختلفة، لا سيما فرع فلسطين سيء الصيت التابع لمخابرات الجيش.

ويظهر أن خليل معتوق قد احتُجز جراء عمله في مجال حقوق الإنسان فيما احتُجز محمد ظاظا لعلاقاته مع خليل معتوق. وعليه، فتعتقد منظمة العفو الدولية أنهما سجينا رأي ينبغي الإفراج عنهما فورا ودون شروط. وثمة مخاوف من نوع خاص تتعلق بسلامة خليل معتوق على وجه التحديد كونه يعاني من مرض في مراحل متقدمة في الرئة ويواجه مصاعب جمة في التنفس.

وقال أحد الأصدقاء المقربين لخليل معتوق، ويُدعى أنور البني، لمنظمة العفو الدولية:

"كنا رفيقان كمحاميين وأمضينا الكثير من الوقت معا بشكل يومي طوال 25 عاما. فهو صديق وزميل وأخ دأب على الدفاع عن السجناء السياسيين في سورية منذ بداية التسعينات. واشتُهر بوجهه البشوش الباسم بصرف النظر عن الظروف وغالبا ما أنقذتني رباطة جأشه وابتسامته التي تعلو وجهه من الوقوع في المشاكل عند التعامل مع قضايا الموقوفين. وبالنسبة لي، لقد كان جدارا أمنيا يحميني في أغلب الأحيان من سلوك السلطات العدواني وشكلنا معا ثنائيا رائعا.

"ولقد ساندني طول فترة حبسي الطويلة ولم يتوقف عن زيارتي أبدا وكنا على اتصال دائم وحرصنا على الاستمرار بعملنا. ولم يكن ليتوانى ولو للحظة عن تقديم أي شيء لي أو لعائلتي".

"إن غيابه أمر غير إنساني؛ فلم يكن النظام يتحمل رباطة جأشه ولا يطيق ابتسامته. ولا زالت ابتسامتك ترافقني دوما يا صديقي؛ فأنت لم تغادر مخيلتي أبدا".

وتستذكر شقيقة أحد سجناء الرأي السابقين كيف قام خليل معتوق بمساعدة عائلتها قائلة:

"لقد قدم خليل معتوق الدعم والمساندة لنا أثناء توكله في قضية شقيقي... لقد دافع عنه في الوقت الذي أبدى آخرون كثر عدم رغبتهم في تولي القضية. وها هو خليل معتوق نفسه داخل السجن الآن، فهو الذي لطالما دافع عن حقوق الإنسان. وهو يستحق الحرية وأن يُطلق سراحه".

وتوافقها الرأي مها أبو شمعة، التي تعمل مع إحدى المنظمات الدولية في مجال حقوق الإنسان:

"ما من كلمات من شأنها أن تفي خليل معتوق حقه. فهو محامي متمرس متخصص في حقوق الإنسان حرص بكل تجرد وبلا أنانية على الدفاع عن سجناء الرأي السوريين من مختلف الخلفيات والأطياف السياسية والأيديولوجية والدينية والطائفية دون تردد أو أنفة. وما التزامه الحقيقي الذي يبعث على الإعجاب بالعمل في مجال حقوق الإنسان ومعتقداته سوى غيض من فيض الأمور التي تجعل منه إنسانا متميزا بالفعل.

فإنسانية خليل معتوق المتواضعة وابتسامته الدافئة وسعادته الدائمة وسرعة بديهته وحسه الفكاهي حتى في أحلك الظروف تغمر وتؤثر عميقا في كل من يحظى بفرصة اللقاء أو الاجتماع به. وكنت اتطلع قُدما لإجراء محادثاتنا على الرغم من الأسباب المؤلمة وراءها كونها تهدف في الأغلب إلى توثيق انتهاك آخر من انتهاكات حقوق الإنسان. فلقد كان الدفء الذي يتخلل صوته والدعابات التي يطلقها مصدر راحة... إننا نفتقدك بألم ومرارة يا خليل."

© Amnesty International

وأما الصحفي والناشط السياسي علي العبد الله، فيستذكر أول لقاء جمعه بمحمد ظاظا قائلا: "لقد رأيت رجلا بشعر أشيب طويل تعلو وجهه ابتسامة صغيرة، وهو صديق لخليل وجار له تبرع أن يقود السيارة به ويوصله من ضواحي العاصمة إلى وسطها".

ومضى علي يصف صديقه خليل معتوق كشخص "يستحق منا جميعا كل التضامن كونه قد سبق وأن دأب على إظهار تضامنه دون تمييز مع جميع المحتجزين تعسفا طوال سنوات.

وأُلقي القبض عليه كونه قد سعى إلى إخلاء سبيل الآلاف من المحتجزين تعسفاً، واعتُقل لابتساماته وضحكاته المتألقة. الحرية لخليل معتوق ومحمد ظاظا ولجميع سجناء الرأي. والحرية قادمة لا محالة".

الحملات

للمشاركة في الحملة من أجل الإفراج عن جميع المعتقلين المحتجزين بسبب ممارستهم السلمية لحقوقهم الإنسانية، يرجى زيارة الموقع:

https://campaigns.amnesty.org/campaigns/conflict-in-syria

المعلومات الإضافية

للحصول على مزيد من المعلومات بشأن الحالة، انظر http://free-syrian-voices.org/khalil-matouq/